الطـــب

كانت معارف العرب الطبية تستند الى :ـ

١ ـ ما كان عند العرب في الجاهلية وصدر الاسلام •

٢ ـ ما أخذوه عن فارس وبلاد الروم في أثناء حروبهم وفتوحهم •

٣ ـ ما نقلوه عن السريانية • وكان طبيعيا أن يكون أكثر الاطباء في العصر الاموي من الذميين ، وقد ظهر بينهم جماعة من العرب • ومن الاطباء المشهورين : عبدالملك الكناني ، وابن أثال الدمشقي ، وكان خبيرا بالادوية المفردة والمركبة ، عارفا بالسموم القتالة • ومنهم أبو الحكم الدمشقي ، ويروى أن معاوية كان يسيره مع الحُجاج الى مكة • ومنهم الحكم بن أبي الحكم •

وفي العصر العباسي زادت العناية بالطب ، وكثر الاطباء المسلمون ، وبالغ الخلفـاء في اكرامهم • والمنصور أول من أدخل أطبـاء جند يسابور الى بغداد • وسنقتصر بحثنا في الطب على الامور الآتية :ـ

١ ـ الامراض التي عالجها العرب :

عرف العرب معالجة الامراض الداخلية ، وأضافوا الى ما اقتبسوه صفحات جديدة عند وصفهم بعض الامراض المُعدية كالجدري ، والحصبة ، وقد وصفهما الرازي بدقة • وعرفوا التهاب السحايا الحاد ، وقد وصفه ابن سينا • كما ذكر عدوى السل الرئوي ، وطرق انتقاله • ووصف أعراض حصى المثانة ، وحصى الكلية • ووصف أبو بكر الرازي ، الحصبة والجدري وصفا دقيقاً وقال بالعدوى الوراثية • وشرح ما سويه داء الجذام قبل غيره ، وكتب عن الحميات ، وعن أمراض العيون بين العرب • والعرب أول من قالوا : ان الاوبئة نتيجة التعفن ، وانها تنتقل بواسطة الهواء ، ومخالطة المرضى المصابين بالامراض السارية ، وبلبس ثيابهم • والعرب أول من عالج الامراض العقلية ، والعصبية ولهم في ذلك تجارب واسعة • وكان في المستشفيات الكبيرة أقسام خاصة بهذه الامراض • وقد الفوا في ذلك كتبا عديدة • وقد عالج العرب الشلل بالادوية المبردة ، بخلاف اليونان •

وأول من استعملها ببغداد ، الطبيب أبو منصور صاعد بن بشر • ولما انتهت اليه الرياسة في الطب ألغى المعاجين الحارة ، والادوية الحادة •

وكان أطباء العرب يفحصون المريض بفحص النبض والبول ، ولهم كتب كثيرة فيهما ، وفي أوصافهما وأحوالهما • ولابن سينا بحث مستفيض في البول ، ولعلي بن عباس الفارسي بحث في فحص النبض • كما كتب العرب كثيرا في علم الوقاية ، وحفظ الصحة ، وكانوا يقولون : ان واجب الطبيب الرئيس حفظ الصحة ، وان العلاج يأتي بعدها • وقد خصص علي بن عباس الفارسي كتابه (كامل الصناعة الطبية) ٣١ فصلا في علم الصحة في الاوقات المختلفة بالرياضة ، والاستحمام ، والاغذية ، والشراب ، والنوم •••

٢ ـ الجراحة عند العرب :

ويطلق عليها العمل باليد أو العمل بالحديد ويقال للمختص بها : جرائحي ، كما يقال للمختص بأمراض العين كحّال ، وبالتجبير:المجبر ، أما المختص بالأمراض العامة فهو الطبيب أو الطبائعي • ويظهر ان الجراحة كانت معروفة في الجاهلية وصدر الاسلام اقتضتها الحروب الكثيرة • ويروى أن رُفيدة الانصارية كانت تضرب لها خيمة في مسجد الرسول (ص) لمداواة الجرحى •

وقد نقل العرب فيما نقلوه من العلوم الطبية كتبا كثيرة في الجراحة والتشريح ، كتشريح الحيوان الميت ، والحيوان الحي ، والولادة ، وتشريح الرحم ، وتشريح الاحشاء ، كما نقلوا كتبا في منافع الاعضاء وفي الاورام ، وفي السرطان ، وما يعرض للثة والاسنان •

وكان العرب يعالجون الاورام الانفية ، وخياطة الاذن ، والشفة ، وقطع اللوزتين ، وشق أورام الحلق ، وقطع الاثداء السرطانية ، وغسل المثانة بالزرّاقة ، واخراج الحصاة من المثانة أو تفتيتها ، واخراج الجنين بالآلة ، واخراج الجنين الميت ، وخياطة الجروح ، واخراج العظام المكسورة ، وكشط الجلد الانساني ، وترقيعه بالجلد الحيواني • وكانوا يفتحون قصبة الرئة لامكان الاستنشاق اذا تعذر من الخياشيم • وقد نجح الزهراوي في ضم جراح الامعاء بالخياطة •

والزهراوي أول من جعل الجراحة علما قائما على التشريح • ومن أهم كتب الجراحة : (العمدة في صناعة الجراحة) لابي الفرج ابن القف • وكتاب

(القانون) لابن سينا • وكتاب (شرح تشريح القانون) ، وفيه أول وصف للدورة الدموية الرئوية ، كما ان فيه بحثا في تشريح الشرايين والاوردة في الرئة والقلب • و « كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة ، والحوادث المعاينة بأرض مصر » لموفق الدين عبداللطيف البغدادي ، وفيه يصف مشاهداته لعدد كبير من الهياكل البشرية في أحد تلول مصر • و (الكتاب الملكي) لعلي بن عباس الفارسي عالج فيه مختلف الأمراض وشرح فيه كيفية قطع اللوزتين من أصلهما ، ومعالجة النزف اذ حدث • وكتاب « الحاوي » لابي بكر الرازي ، وفيه قسم للتشريح ، وآخر للجروح والتجبير • وكتاب الجدري والحصبة • والكفاية في التشريح لموفق الدين عبداللطيف البغدادي • وكتاب الزهراوي الاندلسي ، وفيه قسم كبير في العمليات الجراحية ، وكتاب هيأة القلب ••• الخ •

٣ ـ الكحالة أو طب العيون :

وكان العرب يعالجون نتوء العين ، والتصاق الجفن بها • وقد شرّح العرب عيون الحيوانات • وألفوا كتبا كثيرة في أمراض العين • وممن كتب في ذلك من أطباء العرب : يوحنا بن ماسويه ، وحُنين بن اسحق ، وعلي بن عيسى الذي مارس الطب ببغداد في النصف الاول من القرن الحادي عشر الميلادي • وله تذكرة الكحالين ، وفيه تشريح العين ، وأمراضها الظاهرة والباطنة • ووصف ابن الهيثم البصري عين الانسان ، وبحث البصريات بحثا وافيا • ومن الكتب المهمة في أمراض العيون كتاب « نور العيون وجامع الفنون » لصلاح الدين بن يوسف الكحال • وكتاب هيأة العين وفيه قسم كبير في العمليات الجراحية ، وكتاب امراض العين ••• الخ •

٤ ـ طب الاسنان :

كان المسلمون يعالجون من أمراض الاسنان ، جرد الاسنان بالحديد ، وقلعها ، واقامة المصنوع مكانها ، وكانوا يشبكون الاضراس المتحركة بالذهب ، ويستعملون صنارة خاصة لقلع بقايا السن •

٥ ـ الآلات الجراحية :

كانت تستعمل آلات جراحية كبيرة جدا فقد جاء في كتاب الزهراوي ذكر

لنحو ٢٨٠ آلة كانت تستعمل في الجراحة وقد رسمت صورها ، واليك أسماء بعضها :ـ

(١) المبضع ، (٢) الصنارة : لجذب الجنين ، (٣) المخرط : لقطع اللحم الزائد النابت في الانف ، (٤) المحك : لحك الاجفان ، (٥) المسعط : لتقطير الادهان في الانف ، (٦) المشرط : لشق الأورام ، (٧) المشعب : لثقب الحصاة وتسليك البول ، (٨) المكبس : لكبس اللسان عندما يراد رؤية الحلق وأورامه ... الخ .

٦ ـ المستشفيات :

شيد العرب مستشفيات عامة لجميع الامراض ، ومستشفيات خاصة لامراض معينة كمعالجة الأمراض الآتية :ـ

١ ـ الجذام : وقد بنى العرب له المستشفيات في زمن الامويين من عهد الوليد الأول سنة ٨٩هـ ، ثم انتشرت بعد ذلك .

٢ ـ العمى : شيد المأمون في المدن الكبرى مأوى للعميان والايتام والنساء العاجزات .

٣ ـ الامراض العقلية : شيد العرب مستشفيات للمجانين والبلهاء والمعتوهين . كما كانوا يفردون لهم أماكن ومقاصير خاصة في المستشفيات العامة ، لها نوافذ مشبكة بقضبان الجديد . وخصص لهم من يتفقد أحوالهم كل يوم . وقد عُني العرب بالمستشفيات المتجولة التي كانت تنتقل في الاماكن المختلفة على ظهور الحيوانات وتزود بالاطباء ، وخزائن الادوية ، والاشربة . وقد أصدر الوزير علي بن عيسى أمره الى سنان بن ثابت رئيس أطباء بغداد أن يخصص الاطباء لمعالجة المرضى في السجون كافة . وأن يدخل الادوية والاشربة اليهم . وكانوا يعينون للجيش أطباء خاصين ، كما انهم كانوا يقيمون قرب الجوامع محطات للاسعاف، حيث يقوم الاطباء والصيادلة بعلاج المصابين بالحوادث والامراض الآنية .

أما المستشفيات العامة فهي التي تشيد في المدن الكبرى، ويدخلها المرضى رجالا ونساء ، مجانا من غير أجرة مهما كان جنسهم ، أو دينهم ، أو مذهبهم أغنياء أم فقراء . وكان كل مستشفى من هذه المستشفيات ينقسم الى قسمين : قسم للرجال ، وآخر للنساء . وينفق على هذه المستشفيات من الاموال الموقوفة عليها للترفيه عن المرضى بالدثار ، والكسوة ، والفحم ، والقوت ، والعلاج ، والخدمة . وكانت

المستشفيات تؤثث بأحسن الاثاث ، وتجهز بأحسن الادوية • وكان يتولى ادارة البيمارستان أحد الامراء ، أو الاشراف ، أو عظماء الدولة • ويظهر أنه كان لكل مستشفى صيدلية تعهد أمورها الى صيدلي كفؤ • وكان يلحق أحيانا بالمستشفيات الكبيرة مدارس للطب ليستفيدوا عمليا من المعالجة ، والفحص ، والتشريح الذي يجري في المستشفى • وفي سنة ٣٣٨هـ أصدر الخليفة أمره بامتحان أطباء بغداد ، وكانوا ٨٦٠ طبيبا • وكان أطباء المستشفيات يختارون بعناية فائقة • فقد اختير للبيمارستان العضدي ٢٤ طبيبا ، واختير الرازي ساعوراً (عميداً) له من بين ١٠٠ طبيب •

ومن أشهر المستشفيات ببغداد : المستشفى العضدي بالجانب الغربي منها شيده عضد الدولة سنة ٣٧١هـ ، وتولى رئاسته جبرائيل بن بختيشوع ، وابن التلميذ ، وثابت بن قرة • وكان يحتوي على عدد من الاجنحة ، والغرف • وفي كل قسم منه ماء جارٍ من مياه دجلة •

٧ ـ الصيدلة :

برع العرب في معرفة الأدوية النباتية ، والمعدنية ، والحيوانية • واخترعوا الاشربة والكحول ، والمستحلبات ، والخلاصات العطرية ، وقد توصل ابن سينا الى تغليف الحبوب التي كان يصفها للمرضى ، واستعملوا المخدرات • وكان الصيادلة خاضعين للامتحان منذ خلافة المأمون • كما كانت صيدلياتهم عرضة للتفتيش • وكان في كل مدينة كبيرة عميد للصيادلة • ومن أهم كتب الصيدلة : « منهاج الدكان ، ودستور الاعيان » ألف سنة ٦٥٨هـ وفيه بحث في واجبات الصيدلي ، وآداب الصنعة ، وتركيب الحبوب ، والمحاليل ، والمساحيق ، والمراهم ، والدهونات ، وأوزان الادوية ، ومكاييلها • وألف الغافقي سنة ٥٦١هـ كتاب « الادوية المفردة » ذكر فيه كل نبات باسمه العربي ، واللاتيني ، والبربري • وألف رشيد الدين الصوري سنة ٦٣٩هـ كتاب « الادوية » وزينه برسوم النباتات بألوانها الطبيعية • وكان المؤلف يصطحب معه المصور لتصوير هذه النباتات • وكان ابن البيطار يشرف على الصيدليات بمصر • ومن كتبه : « المغني في الادوية المركبة » و « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » • وقد وصف فيه من العقاقير أكثر من ١٤٠٠ بين نباتية ، وحيوانية ، ومعدنية منها ٣٠٠ لم يذكرها مَنْ قبله •

الفصل الثامن

الـكيميـــاء

وهي من العلوم التي لها علاقة بالطب وقد بلغ فيها العرب شأوا بعيدا حتى ان علماء أوربة يضعون العرب في المقام الاعلى عند بحثهم في تاريخ الكيمياء • وأول من أدخل الكيمياء خالد بن يزيد الاول المتوفى ٨٥هـ حين استخدم بعض العلماء من مدرسة الاسكندرية • ومن الاسباب التي دعت العرب الى العنايـــة بالكيمياء :ـ

(١) الرغبة الشديدة في تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب •

(٢) محاولتهم اكتشاف الاكسير الاعلى أو ما يسمى بحجر الفلاسفة لاعادة الشـــباب ، واطالة العمر • وجابر بن حيان أول من حضر حامض الكبريتيك H_2SO_4 المعـروف بزيت الزاج • واكتشـــف حـامض النتريك HNO_3 وهيدروكسيد الصوديوم NaHO • وأوجد العرب : التقطير ، والترشـــيح ، والتحويل ، والتبخير ، والتصعيد ، والتذويب ، والتبلور • واكتشفوا القلويات ، ونترات الفضة $AgNO_3$ وقد ظلت تعاليمهم في الكيمياء معمولا بها حتى القرن الثامن عشر • ويعتبر العرب أصحاب الكيمياء العملية • أما اليونان فهم أصحاب الكيمياء النظرية • وممن لهم مؤلفات في الكيمياء : أبو بكر الرازي ، وابن التلميذ وهو عميد أطباء بغداد ، ومؤلف الاقراباذين الكبير والصغير ، وكان يتولى امتحان الاطباء في العراق • وقد عرف العرب أيضـا الكيمياء العضوية • ومن أشـــهر كيمياوي العرب : الكندي ، وابن حيـــان ، والفارابي ، والزهراوي ، وابن سينا ••• الخ •